مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

السنة السادسة، العدد 20
المجلد الأول، ديسمبر 2023

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

Arcif
Analytics

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة حائل

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788 X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حيث تصدر أربعة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر. وقد نجحت مجلة العلوم الإنسنية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير و الاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " ارسيف "Arcif المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً, وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023,

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين -من مختلف بلدان العالم- من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دولياً، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصدر المجلة ورقياً حسب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونياً لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط وإجراءات النشر في مجلة العلوم الإنسانية

اولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانياً: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، ومقدّمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. في حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاً لبحثه.
3. في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل- وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة بتطلب رسوم مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: الضوابط والمعايير الفنية لكتابة وتنظيم البحث

1. ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحوث **(25%).**

2. الصفحة الاولى من البحث، تحتوي على عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، المؤسسة التي ينتسب إليها- جهة العمل، عنوان المراسلة والبريد الالكتروني، وتكون باللغتين العربية والانجليزية على صفحة مستقلة في بداية البحث. الاعلان عن أي دعم مالي للبحث- إن وجد. كما يقوم بكتابة رقم الهوية المفتوحة للباحث ORCID بعد الاسم مباشرة. علماً بأن مجلة العلوم الإنسانية تنصح جميع الباحثين باستخراج رقم هوية خاص بهم، كما تتطلب وجود هذا الرقم في حال إجازة البحث للنشر.

3. ألا يرد اسم الباحث (الباحثين) في أي موضع من البحث إلا في صفحة العنوان فقط.

4. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة أو (12.000) كلمة للبحث كامل أيهما أقل بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع.

5. أن يتضمن البحث مستخلصين: أحدهما باللغة العربية لا يتجاوز عدد كلماته (200) كلمة، والآخر بالإنجليزية لا يتجاوز عدد كلماته (250) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.

6. يُتبع كل مستخلص (عربي/إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) (Key Words) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.

7. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة: من الجهات الأربعة (3) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.

8. يكون نوع الخط في المتن باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (12)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبحجم (10)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ. (Bold).

9. يكون نوع الخط في الجدول باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (10)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبحجم (9)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ (Bold) ..

10. يلتزم الباحث برومنة المراجع العربية (الأبحاث العلمية والرسائل الجامعية) ويقصد بها ترجمة المراجع العربية (الأبحاث والرسائل العلمية فقط) إلى اللغة الإنجليزية، وتضمينها في قائمة المراجع الإنجليزية (مع الإبقاء عليها باللغة العربية في قائمة المراجع العربية)، حيث يتم رومنة (Romanization / Transliteration) اسم، أو أسماء المؤلفين، متبوعة بسنة النشر بين قوسين (يقصد بالرومنة النقل الصوتي للحروف غير اللاتينية إلى حروف لاتينية، تمكِّن قراء اللغة الإنجليزية من قراءتها، أي: تحويل منطوق الحروف العربية إلى حروف تنطق بالإنجليزية)، ثم يتبع بالعنوان، ثم تضاف كلمة (in Arabic) بين قوسين بعد عنوان الرسالة أو البحث. بعد ذلك يتبع باسم الدورية التي نشرت بها المقالة باللغة الإنجليزية إذا كان مكتوباً بها، وإذا لم يكن مكتوباً بها فيتم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية.

مثال إيضاحي:

الشمري، علي بن عيسى. (2020). فاعلية برنامج إلكتروني قائم على نموذج كيلر(ARCS) في تنمية الدافعية نحو مادة لغتي لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل،1(6)، 98-87.

Al-Shammari, Ali bin Issa. (2020). The effectiveness of an electronic program based on the Keeler Model (ARCS) in developing the motivation towards my language subject among sixth graders. (in Arabic). Journal of Human Sciences, University of Hail.1(6), 98-87

السميري، ياسر. (2021). مستوى إدراك معلمي المرحلة الابتدائية للإستراتيجيات التعليمية الحديثة التي تلبي احتياجات التلاميذ الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم. المجلة السعودية للتربية الخاصة، 18(1): 19- 48.

Al-Samiri, Y. (2021). The level of awareness of primary school teachers of modern educational strategies that meet the needs of gifted students with learning disabilities. (in Arabic). The Saudi .Journal of Special Education, 18 (1): 19-48

11. يلي قائمة المراجع العربية، قائمة بالمراجع الإنجليزية، متضمنة المراجع العربية التي تم رومنتها، وفق ترتيبها الهجائي (باللغة الإنجليزية) حسب الاسم الأخير للمؤلف الأول، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.

12. تستخدم الأرقام العربية أينما ذكرت بصورتها الرقمية. (Arabic.... 1,2,3) سواء في متن البحث، أو الجداول و الأشكال، أو المراجع، وترقم الجداول و الأشكال في المتن ترقيماً متسلسلاً مستقلاً لكل منهما ، ويكون لكل منها عنوانه أعلاه ، ومصدره – إن وجد – أسفله.

13. يكون الترقيم لصفحات البحث في المنتصف أسفل الصفحة، ابتداءً من صفحة ملخص البحث (العربي، الإنجليزي)، وحتى آخر صفحة من صفحات مراجع البحث.

14. تدرج الجداول والأشكال- إن وجدت- في مواقعها في سياق النص، وترقم بحسب تسلسلها، وتكون غير ملونة أو مظللة، وتكتب عناوينها كاملة. ويجب أن تكون الجداول والأشكال والأرقام وعناوينها متوافقة مع نظام APA.

رابعًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

خامسًا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية كما هو في دليل الكتابة العلمية المختصر بنظام APA7.

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).

3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.

4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (WORD) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.

5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.

6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك

7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.

8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة **(1000)** ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.

9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكِّمين اثنين؛ على الأقل.

10. فـي حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.

12. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث

13. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم.

14. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.

15. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.

16. لا تردّ البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر

17. ترسل المجلة للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.

18. لهيئة تحرير المجلة الحق فـي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّيّاً.

مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. عبد العزيز بن سالم الغامدي

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري
أ. د . منى بنت سليمان الذبياني
د. نواف بن عوض الرشيدي
د. إبراهيم بن سعيد الشمري

الهيئة الاستشارية

أ. د. فهد بن سليمان الشايع
جامعة الملك سعود - مناهج وطرق تدريس
Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education
أ. د. محمد بن مترك القحطاني
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - علم النفس
أ. د. علي مهدي كاظم
جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان - قياس وتقويم
أ. د. ناصر بن سعد العجمي
جامعة الملك سعود - التقييم والتشخيص السلوكي
أ.د. حمود بن فهد القشعان
جامعة الكويت - الخدمة الاجتماعية
Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education
أ.د. رقية طه جابر العلواني
جامعة البحرين - الدراسات الإسلامية
أ.د. سعيد يقطين
جامعة محمد الخامس - سرديات اللغة العربية
Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology
أ. د. سعد بن عبد الرحمن البازعي
جامعة الملك سعود - الأدب الإنجليزي
أ.د. محمد شحات الخطيب
جامعة طيبة - فلسفة التربية

فهرس الأبحاث

م	عنوان البحث/ اسم الباحث	رقم الصفحة
1	تمثُّلات السعادة في رواية (مدينة السعادة) لـ فاطمة آل عمرو: دراسة نقدية د. خالد سريان ساري الحربي	9-21
2	دور الأنشطة في بناء شخصية الطالب في جامعة سليمان الراجحي د. عقل بن عبد العزيز العقل	23-45
3	استخدام نظريات التعلم عن بعد في تصميم مناهج التصاميم والفنون د. نوف بنت عبد الله السويداء	47- 69
4	مستوى التمكين الإداري لدى مديري مدارس التعليم العام بمدينة حائل أ.الجوهرة محمد التميمي	71- 98
5	مؤشرات التطرف لدى الشباب ودور المملكة العربية السعودية في مواجهتها د. هدى بنت عبد العزيز الدغيري	99- 122
6	الهشاشة الأسريّة والقابلية للطّلاق في المجتمع السعودي، مثال منطقة حائل د. تركي بن ليلي الشلاقي أ.د. منجي إبراهيم الزيدي د. ماهر تريمش د. الجوهرة بنت سعود الجميل	123-149
7	آيات انشراح الصّدر سياقاتها وأسرارها البلاغية د. بخيت بن حمود السّناني	151- 164
8	دور أعضاء هيئة التدريس في تحقيق الإبداع الفكري لدى طلبة جامعة حائل في المملكة العربية السعودية د. نايفه صالح سليمان العيد	165- 189
9	درجة إسهام الإفصاح الوجداني عن الذات لدى الطلبة المتزوجين حديثاً بالتّذوّق النفسي في المملكة العربية السعودية د. نوير سليمان مبارك البلوي	191- 211
10	الترجيح بالنظير القرآني "شواهد من تفسير ابن كثير" دراسة تطبيقية د. غازي وصل سالم الذبياني	213- 224
11	فاعلية برنامج إرشادي في تحسين مستوى وعي الآباء بالموهبة ورعاية أبنائهم الموهوبين د. نايف بن فهد الفريح	225- 247
12	Scales theory and political discourse in the Saudi Crown Prince's representation of the Saudi Vision2030 د. ياسر محمد التميمي	249- 259

آيات انشراح الصّدر سياقاتها وأسرارها البلاغية

The Verses on Cheerfulness Its Contexts and Rhetorical Secrets

د. بخيت بن حمود السّناني

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة بكلّية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Dr Bakheet bin Hamoud Al-Sinani

Assistant Professor of Rhetorics at the Faculty of Arabic Language
at the Islamic University of Madinah

(قُدم للنشر في 28/ 09/ 2023، وقُبل للنشر في 25/ 10/ 2023

الملخص

يعنى هذا البحث بتتبع السّياقات المتنوعة لآيات انشراح الصّدر، والرّبط بين موضوعاتها وسياقاتها، ومحاولة استجلاء الأسرار البلاغية فيها، وقد بنيت الدّراسة على: مقدّمة، وتمهيد، ومبحثين، أعقبتهما خاتمة، وجاءت المقدمة محتوية على: أهمية البحث، وأسباب اختياره ودوافعه، والدّراسات السّابقة فيه، ومنهجه وخطته، ثم التّمهيد وقد عرفت فيه بانشراح الصّدر، والآيات التي ورد فيها، كما تحدثت فيه عن مفهوم السّياق، ثم المبحث الأول وتحدثت فيه عن سياقات آيات انشراح الصّدر، ثم المبحث الثّاني الذي خصَّصته للحديث عن الأسرار البلاغية في هذه الآيات الكريمة، لتأتي الخاتمة مشتملة على أهم النتائج والتّوصيات، ثم الفهارس الفنيّة. وقد انتهت الدّراسة إلى جملة من النّتائج أهمّها؛ أن جميع آيات انشراح الصّدر وردت في سورة مكيّة؛ إذ ارتبط انشراح الصدر بسلامة العقيدة ونور الإيمان والهدى، كما أنّ الأسلوب الحواريّ كان حاضرًا في هذه الآيات، واتخذ أشكالًا وصورًا متعددة تناسب السّياقات المتنوعة التي وردت فيها.

الكلمات المفتاحية: انشراح الصّدر، البلاغية، سياقات.

Abstract

This study attended to the tracking of the various contexts of the verses of cheerfulness, and relating them to their topics and contexts, and an attempt to reveal their rhetorical secrets. The study is made up of an introduction, a preface, and two topics followed by the conclusion. The introduction includes the importance of the research and the reasons for choosing it and the motivation, and the previous studies, and the methodology and the plan. Then the preface which discussed the definition of cherfullness, and the verses where it was mentioned. Then the first topic which discussed the contexts of cherfullness, and the second topic on the rhetorical secrets of these Qur'anic verses, and the conclusion includes the most significant findings and recommendations, then the technical indexes. The research concluded on a number of findings, the most important of which include: that all the verses of cheerfulness were revealed in the Meccan chapters, due to the connection between cheerfulness and the purity of creed and the light of belief and guidance, and that the dialogue approach was very clear in the verses, and it took various dimensions and forms that suit the various contexts where they were mentioned.

Keywords: Cheerfulness, Rhetorical, Contexts.

المقدّمة:

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وتحدّى به أهل الفصاحة وسادة البيان وجهابذة اللّسان، فسلموا له مذعنين، وعجزوا عن الإتيان بمثله أجمعين.

والصّلاة والسّلام على أفصح العرب لسانًا، وأبلغهم بيانًا، خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدّين؛ أمّا بعد:

فإنّ أشرف ما يشتغل به المشتغلون، ويتنافس فيه المتنافسون؛ طلب العلم والسّعي في تحصيله، وإنّ أجلّ العلوم وأشرفها ما يتعلق بكتاب الله، وبيان إعجازه، واستخراج كنوزه، واكتشاف أسراره، وسبر أغواره؛ لذا فقد نالت البلاغة منزلة عالية بين العلوم، ذلك أن العلم يشرف بشرف مدوّنته وما يبحث فيه، ومن هذا استمدّت البلاغة فضيلتها وشرفها وعزّ مكانتها.

إن دراسة بلاغة القرآن الكريم علم عظيم النّفع شريف القدر، عُني به علماء العربية قديمًا وحديثًا، على اختلاف مشاربهم، وتنوع معارفهم، كلٌ آخذٌ منه بطرف، فالمفسر له فيه مدخل، والفقيه له منه نصيب، والأصولي له منه سهم، وقد نص الزّمخشري على ذلك فقال: «ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان؛ وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ» (الزمخشري، 1427: 1/2).

إن علم البلاغة هو العلم الذي يكشف أسرار التّعبير، وخصائص النّظم العظيم في آيات الذكر الحكيم، وأسلوب القرآن الكريم ذروة البلاغة، وغاية الفصاحة، فهو النموذج الأسمى والغاية القصوى للبيان، فلا نظم يدانيه أو يقترب منه، وقد تعدّدت الأساليب وتنوعت في هذا الكتاب البديع، فبلغ الغاية في مطابقة الكلام لمقتضى المقام، على تعدّد الأحوال، وتغير الأزمان، قال الرّماني: «فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن» (الرّماني، 1976: 75).

وللقرآن أساليب عظيمة، وعبارات دقيقة يعجز الناظر فيها عن أن يحصيها، أو يستقصيها، قال الزّركشي عند حديثه عن أساليب القرآن وفنونه البليغة: «اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا ذوو بصيرة تستقصيه، وهو أرقّ من الشّعر، وأهول من البحر، وأعجب من السحر، وكيف لا يكون وهو المطّلع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين؛ ما أودع من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما تضمنه في الحلاوة، وجلله في رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى» (الزركشي، 1376: 382/2).

وإن من الأساليب الدّقيقة والتّراكيب العجيبة في كتاب الله عزّ وجل ما ورد في آيات انشراح الصّدر، فقد جاءت في سياقات متنوعة، فكانت الغاية في الإعجاز والبلاغة والبيان، فأردت في هذه الدّراسة أن أستجلي سياقاتها وأسراها البلاغية، فكان عنوان الدّراسة:(آيات انشراح الصّدر سياقاتها وأسرارها البلاغية).

منهج البحث وخطّته:

المنهج الذي اعتمدت عليه هو المنهج الوصفي التّحليليّ مستعينًا بالمنهج الاستقرائي، منطلقًا من مبدأ بلاغّي، سياقيّ، حيث استقراء المواطن المتنوعة وربطها بمقاماتها، وسياقاتها الخاصّة والعامة التي وردت فيها، ثم تحليل الآيات تحليلًا يعين في استجلاء بعضًا من أسرارها البلاغية.

خطّة البحث:

تتألف خطّة هذا البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين، ثمّ خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وقد رسمت خطّته على النّحو التّالي:

1-**المقدّمة**: وتشتمل على أهمّية الموضوع، وأسباب اختياره، والدّراسات السّابقة.

2-**التّمهيد**: مصطلحات العنوان:(مفهوم انشراح الصّدر، والآيات التي ورد فيها، ومفهوم السّياق)

3-**المبحث الأوّل**: سياقات آيات انشراح الصّدر.

4-**المبحث الثّاني**: الأسرار البلاغية في آيات انشراح الصّدر.

5-**الخاتمة**: وتشتمل على جملة من النتائج والتّوصيات.

6-الفهارس.

1-أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه:

تأتي أهميّة هذا الموضوع من أهمية مادته التي يدرسها، فهو مرتبط بكتاب الله عز وجل يستمدّ مادته من آياته وتجلياتها، وقد تضافرت جملة من الأمور دفعتني لهذه الدّراسة أبرزها؛ خدمة كتاب الله عزّ وجل وتدبر آياته، وفهم مدلولاتها الصّحيحة، كما أن لطرافة الموضوع لها أثر كبير في اختياره، فلم أطلع على دراسة

بلاغية متخصصة أفردت هذه الآيات بدراسة جامعة لها في موطن واحد، ثم إن دراسة أساليب القرآن مبحث شائق، فيه يكمن الإعجاز، وبه تستبين البلاغة والبيان.

وقد قصدت تحقيق عدد من الأهداف أبرزها الآتي:

١-تسليط الضوء على السّياقات المتنوعة التي وردت فيها آيات انشراح الصّدر، وعلاقتها بتلك السياقات، وكيف طابقت تراكيبها مقتضيات الأحوال التي جاءت فيها.
٢-الوقوف على الأسرار البلاغية المعجزة، والسّمات التركيبية المبهرة، وبيان ما احتوته هذه الآيات من قدرات تأثيرية وإقناعية. استجلاء الرّوابط الدّقيقة بين هذه الآيات، وسياقاتها، ودقائق تعابيرها.

2- مشكلة الدّراسة:

تحاول هذه الدّراسة استجلاء السّياقات التي وردت فيها آيات انشراح الصّدر في القرآن الكريم، والكشف عن الأسرار البلاغية الكامنة وراء ما فيها من مفردات وتراكيب وصور وبديع، وكيف طابقت مقتضيات الأحوال المتنوعة.

3-الدّراسات السّابقة:

لم أجد فيما وقفت عليه بحثًا أفرد هذه الآيات بدراسة سياقية بلاغية، غير أني قد وقفت على دراسة تفسيرية موضوعية بعنوان: (آيات ضيق الصّدر وانشراحه في القرآن الكريم دراسة موضوعية؛ للدّكتور: محمد طالب مدلول)، ودراسة الباحث الكريم تختلف عن دراستي منهجًا وموضوعًا، فدراستي تتخذ من التّحليل البلاغي السّياقي منهجًا، وأمّا الدّراسة الأخرى فتعتمد المنهج التّفسيري الموضوعيّ، كما أن خطة دراسته تختلف عن خطة هذه الدّراسة، وقد اقتصرت تلك الدّراسة على ذكر أسباب انشراح الصّدر في القرآن الكريم وفصلت الحديث فيها، ولا يعني هذا عدم إفادتي منها، فقد اطلعت عليها وحاولت الإفادة من مقدماتها ونتائجها التي وردت فيها.

التّمهيد: مفهوم انشراح الصّدر، والآيات التي ورد فيها:

في هذا التّمهيد سأعرف بالمصطلحات والمفاهيم الواردة في عنوان الدّراسة وذلك على النّحو التّالي:

1-مفهوم انشراح الصّدر:

معنى الشّرح: تدور مادة (ش ر ح) في اللّغة حول معان؛ منها: البيان والتّوضيح والكشف، والشّق والتّوسع، قال الخليل: «الشّرح: السّعة، والشّرح: البيان، اشرَحْ أيْ: بيّنْ» (الفراهيدي، د ت: ٩٣/٣)، وقال صاحب الجمهرة: «الشّرح من قولهم: شرحت لَك الأمر أشرحه شرحًا؛ إذا أوضحته وكشفته، والشريحة من اللّحم، القطعَة المرقّقة، والجمع شرائح، وكل قطعة من اللّحم فهي شرحة وشريحة» (الأزدي، 1987: 513/1)، «والشرح، الكشف؛ يقال: شرح فلان أمره أي، أوضحه، وشرح مسألة مشكلة، بينها، وشرح الشيء يشرحه شرحًا، وشرحه، فتحه وبينه وكشفه، وكل ما فتح من الجواهر، فقد شرح أيضا، تقول: شرحت الغامض؛ إذا فسرته» (ابن منظور، 1414: 497/2).

معنى الصّدر: «الصدر، أعلى مَقْدِم كل شيء وأوله، حتى إنهم ليقولون: صدر النّهار والليّل، وصدر الشّتاء والصّيف وما أشبه ذلك، وصدر القناة؛ أعلاها، وصدر الأمر؛ أوله، وصدر كل شيء، أوله، وكل ما واجهك، صدر، وصدر الإنسان مذكر، وجمعه، صدور، ولا يُكسَّر على غير ذلك، وقوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (ابن منظور، 1414: 445/4).

مفهوم تركيب (انشراح الصّدر)؛»شرح الصّدر وانشراحه، توسعه لقبول الخير، قال الله -عز وجل-:فَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ، أي، وسعه فاتسع لقبول الخير» (الفراهيدي، د ت: 93/3)، وقال الرّاغب الأصفهاني: «أصل الشرح: بسط اللحم ونحوه، شرح الصدر أي، بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه» (الراغب الأصفهاني، 1412: 449)؛ إذن انشراح الصّدر بالأمر؛ هو انفتاحه وانبساطه وقبوله.

2-آيات انشراح الصّدر في القرآن الكريم:

وردت آيات شرح الصّدر في القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاتها في خمسة مواطن، على النّحو التالي:

1-الآية: (125) من سورة الأنعام: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)

2-الآية: (106) من سورة النّحل: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

3-الآية: (22) من سورة الزمر : (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ).

4-الآية: (25) من سورة طه :(قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي)

5-الآية: (1) من سورة الشّرح :(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)

وستكون هذه الآيات محور الحديث في الصّفحات القادمة.

3–مفهوم السّياق:

السياق **في اللغة** مصدر من الفعل الثلاثي (ساق)، وقد ذكر بن فارس أنّ «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقًا، والسيقة، ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته، والسوق مشتقة من هذا؛ لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع: سوق، وإنما سميت بذلك؛ لأن الماشي ينساق عليها» (ابن فارس، 1399: 117/3)، قال ابن منظور: «السوق، معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقًا وسياقًا، وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة، وقد انساقت وتساوقت الإبل إذا تتابعت» (ابن منظور، 1414: 166/10).

وقال الزّمخشري: «ومن المجاز؛ هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا، وجيئتك بالحديث على سوقه، أي، سرده» (الزمخشري، 1427).

ومن خلال ما سبق يتّضح أن الجذر (سوق) تدور حول معاني: التّتابع (تساوقت الإبل: تتابعت)، المؤازرة والتّقارن (تساوق الشيئان، تقارنا)، وسياق الكلام؛ (تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه)، والتتابع والتّقارن؛ اتصال لا انقطاع فيه.

أمّا في **الاصطلاح** فقد تعددت تعاريفه، وكل ينظر له من جانب تخصصه، فقد استعملت مصطلحات تؤدي مفهوم السّياق عند متقدمي اللغويين والأصوليين والمفسرين مثل مصطلحات، المشاهدة، والمشاهد، والحال، والدّليل، والقرينة، والمقام، والموقف.

وورد في المعجم الوسيط أن سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه (مصطفى وآخرون، 1400: 465/1). وعرّف العطّار السياق بأنّه: «ما سيق الكلام لأجله، وقرينته هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدّال على خصوص المقصود أو سابقه» (العطار، د ت: 320/1). وعرّفه السجلماسي (د ت: 18) بأنّه؛ «ربط القول بغرض مقصود على الأوّل».

«والسّياق هو: البيئة اللّغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة وتستمدّ أيضًا من السّياق الاجتماعيّ، وسياق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره، من متكلم ومستمع وغير ذلك من الظّروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام» (الدّاية، 1996: 111). كما عرّف بأنّه، «الأجزاء التي تسبق النّص أو تليه مباشرة، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود» (عياد، 1994: 83).

وينبني على معرفة السّياق وضوح دلالة الألفاظ، والكشف الدّقيق عن معانيها؛ لأنه ينبئ عن القرائن التي تعين على ذلك، كما أنّه يرتبط بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحاليّة (الدّاية، 1996).

وفكرة السّياق قديمة عند البلاغيين وإن لم يكن معروفًا عندهم بهذا الاسم، إذ كانوا يطلقون عليه، المقام، والحال، واشتهرت عنهم عبارة، «لكل مقام مقال»، نقل الجاحظ عن بشر بن المعتمر قوله: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» (الجاحظ، 1423: 131/1).

المبحث الأوّل: سياقات آيات انشراح الصّدر

أوّلًا: الآية: (125) من سورة الأنعام: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ).

سورة الأنعام سورة مكّية إلاّ ست آيات نزلت بالمدينة، قوله: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) إلى آخر الثلاث آيات، وقوله: (قُلْ تَعَالَوْا) إلى آخر الثلاث آيات، وباقي السّورة كلها نزلت بمكة، وسميت بهذا الاسم لتكرار لفظ الأنعام فيها.

والسّورة في مجملها دعوة إلى توحيد الله عزّ وجل، وأنّه سبحانه هو المتفرد بالكمال، والمنعم بالأفضال والقادر على الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث والنّشور، وهو القادر على شرح الصّدور لقبول الحق ومعرفة طريقه، والتّوفيق للإيمان بشرح الصّدور؛ لتتسع له، وتغتبط به، وتبتهج فرحًا وسرورًا (البقاعي، 1408: 115/2).

قال البقاعي: «وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام؛ لأن الإذن فيها مسبَّب عما ثبت له من الفلق، والتفرد بالخلق، وتضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها دينًا؛ لأنه لم يأذن فيه، ولا أذن لأحد معه؛ لأنه المتوحد بالألوهية، لا شريك له، وحصر المحرمات من المطاعم التي جلّها في هذا الدين وغيره، فدل ذلك على أن إحاطة علمه ملزومة لشمول القدرة، وسائر الكمالات، وذلك عين مقصود السّورة» (البقاعي، 2020: 578/2).

ومن هنا يظهر جليًّا الارتباط الوثيق بين السّياق العام للسورة وهذه الآية، إذ السيّاق توحيد لله عز وجل، والإخلاص له، والإقرار بتفرده بصفات الكمال، وبتمام القدرة على الخلق والتّدبير، وأنّ تسخير الإنسان لقبول الحق، والإذعان له بالتوحيد الخالص وأن شرح الصدر للإسلام من أعظم ما ينعم به المولى عزّ وجل على الإنسان، فتكون الآية امتنانًا على المؤمنين بتيسير الإيمان لهم.

أمّا السياق الخاص للآية فمرتبط أشد الارتباط بما قبلها من آيات، قال الطّاهر بن عاشور: «الفاء مرتبة الجملة التي بعدها على مضمون ما قبلها من قوله: (أَوَمَن كَانَ مَيْت، فَأَحْيَيْنَٰهُ ، وما ترتب عليه من التّفاريع والاعتراض، وهذا التفريع إبطال لتعللاتهم بعلة ،حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ)، وأن الله منعهم ما علقوا إيمانهم على حصوله، فتفرع على ذلك بيان السبب المؤثر بالحقيقة –إيمان المؤمن وكفر الكافر–؛ وهو هداية الله المؤمن، وإضلاله الكافر، فذلك حقيقة التأثير، دون الأسباب الظاهرة، فيعرف من ذلك أن أكابر المجرمين لو أوتوا ما سألوا لما آمنوا حتى يريد الله هدايتهم إلى الإسلام، كما قال تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (96) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (97) وكما قال:(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ)، والهدى إنما يتعلق بالأمور النافعة؛ لأن حقيقته إصابة الطريق الموصل للمكان المقصود، ومجازه رشاد العقل، فلذلك لم يحتج إلى ذكر متعلقه هنا؛ لظهور أنه الهدى للإسلام، مع قرينة قوله: (يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ)، وأما قوله: (فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ) فهو تهكم بهم، و الضلال إنما يكون في أحوال مضرة؛ لأن حقيقته خطأ الطريق المطلوب؛ فلذلك كان مشعرًا بالضر، وإن لم يذكر متعلقه، فهو هنا الاتصاف بالكفر؛ لأن فيه إضاعة خير الإسلام، فهو كالضلال عن المطلوب، وإن كان الضال غير طالب للإسلام، لكنه بحيث لو استقبل من أمره ما استدبر لطلبه» (ابن عاشور، 1984: 57/7).

وهذه الآية مرتبطة أشد الارتباط بما سبقها من آيات في قوله تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ 122 وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123) فالله عزّ وجلّ قسم النّاس إلى قسمين:

١–القسم الأوّل: (كَانَ مَيْتا فَأَحْيَيْنَٰهُ) أي: ضالًا فهديناه، والآية نزلت في النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، ولكن خصوص السبب لا يمنع عموم المراد، فالحديث عام عن كل من كان على ضلال ثمّ وفقه الله لقبول الحق والإذعان له، قال قتادة: «هذا المؤمن معه من الله نور وبيّنة يعمل بها ويأخذ، وإليها ينتهي، كتاب الله» (الطبري، 2001: 535/9)، وقد امتن الله عزّ وجل على هذا الفريق بنعم شتى منها: أن جعل لهم نورًا يمشون به، وأنه عزّ وجل قد شرح صدورهم لقبول هذا النّور.

قال ابن كثير: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميّتا، أي، في الضّلالة هالكًا حائرًا فأحياه الله، أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه له، ووفقه لاتباع رسله» (ابن كثير، 1419: 178/2)، ويشرح صدره لدينه ولذا جاء بعد الآية قوله تعالى: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ) وقد فسر النّور الوارد في الآية الأولى بالقرآن، وقيل: بالإسلام، قال ابن كثير: «والنّور هو القرآن كما قال العوفي وابن أبي طلحة وابن عباس، وقال السّدي: الإسلام، والكلّ صحيح» (1419: 178/2).

وقال الزمخشري: «فمن يرد الله أن يهديه يلطف به ...حتى يرغب في الإسلام، وتسكن إليه نفسه، ويحب الدخول فيه « (الزمخشري، 1407: 64/2).

2–القسم الثّاني: (كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) هذا الفريق الثّاني الكفار في ضلالتهم لا يخرجون منها، قال قتادة: «وهذا مثل الكافر في الضلالة، متحير فيها متسكع، لا يجد مخرجًا ولا منفذًا» (الطبري، 2001: 535/9)، هذا القسم توالت عليه الظلمات، فهو غارق في ظلمات بعضها فوق بعض فظلمة الضلال، وظلمة الهوى التي زينها له أكابر المجرمين في قوله تعالى بعد هذه الآية: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا).

وبعد أن ذكر الله تعالى القسمين ذكر امتنانه على الفريق الأوّل بتسهيل السّبيل لهم إلى الإسلام بالدّلائل الشّارحة للصدر، والإضلال بتصعيب سبل الهداية بالشّبه التي يضيق بها الصّدر (النيسابوري، 1415: 311/1).

وبذا نخلص إلى أنّ هذه الآية وردت في سياق الامتنان على المؤمنين بشرح صدورهم للإسلام، وتبكيت الضالين بالاستمرار على الضّلالة، وتصعيب الوصول إلى سبل الهداية وانشراح الصّدر لدين الله القويم، وكلا الوصفين وردا في سياق الحديث عن آلائه ونعمه وقدرته جل وعلا؛ إذ بيده القلوب، يقلبها كيف يشاء.

ثانيًا: الآية (106) من سورة النّحل: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرا فَعَلَيْهِمْ غَضَب مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم).

سورة النّحل مكيّة، وسميت بهذا الاسم؛ لأن لفظ النّحل لم يذكر في سورة غيرها؛ وهي امتداد لكل السّور المكية التي تقوم على تقرير العقيدة، وسياق الأدلة على وحدانية الله وتفرده بالكمال، فهو سبحانه تام القدرة والعلم منزه عن شوائب النّقص جل وعلا، وأدل ما فيها على هذا المعنى: قدرته جل وعلا وعلمه بأمر النّحل، لما ذكر من شأنها من دقة الفهم في ترتيب بيوتها، ورعيها، وسائر أمرها، من اختلاف ألوان ما يخرج من بطونها، وجعله شفاء للناس (البقاعي، 2020: 243/4)، وقد اشتملت السّورة على أدلةّ متنوعة على تفرد الله تعالى بالألوهية، وعلى فساد الشّرك، وإظهار شناعته، كما اشتملت على أدلّة إثبات رسالة محمد – صلىّ الله عليه وسلّم – وإثبات البعث والجزاء، واقتراب حلول ما أنذر به المشركون، وتقريعهم على تصلّبهم وشركهم وتكذيبهم، لتأتي هذه الآية متممة للمعنى؛ إذ إن من

اهتدى للإسلام، وآمن به بعد ظهور هذه الأدلّة الواضحة الدّامغة، ثم انشرح صدره للكفر، واطمئن له، فعليه غضب الله، وله عذاب عظيم (ابن عاشور، 1984: 94/14). وأمّا الآية موطن الدّراسة فقد جاءت في سياق التّحذير من نقض العهد الذي عاهدوا عليه الله، وذلك في قوله تعالى: (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ، كما أنّ الآيات قبلها تحذر المؤمنين من الاغترار بما لدى المشركين من السّعة والربو، أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ كما تحذرهم من زلل القدم بعد ثبوتها فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وألاّ تغرهم شبه المشركين في تكذيب القرآن وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مع بيان المولى عزّ وجل كذب ما افتروا وبطلانه في قوله: قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)، ثم جاء الوعيد الشّديد لمن يغتر بهم، أو يقنع بقولهم فينشرح صدره للكفر مطمئنًا له، أمّا من اضطر لإظهار الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فلا يدخل عموم مضمون الوعيد بالغضب والعذاب العظيم.

ثالثًا: الآية (22) من سورة الزمر (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) .

سورة الزّمر مكيّة، وسميت بهذا الاسم؛ لأن لفظ الزّمر لم يذكر في سورة غيرها، أما موضوعاتها فهي تشابه السّور المكيّة في تثبيت العقيدة، وبيان وحدانية الله عزّ وجل، وإثبات الرّسالة والبعث والجزاء والحساب،كما تثبت تفرد الله عزّ وجل بالألوهية، وإبطال شرك المشركين، واستدلالاتهم الكاذبة؛ (أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ)كما ذكرت السّورة طرفًا من الأدلّة على توحيد الله، وتفرده بإيجاد العوالم والخلق العجيب في أطوار تكوين الإنسان؛ من خلقه نطفة حتى مشيخه ثم موته، كما أن الله عز وجل خلق السّموات والأرض وسخر الشّمس والقمر(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ) وأنزل من السّماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وكل هذه الدّلائل على قدرة الله عز وجل جمعها القرآن، نور الله الذي أنزله لعباده، فمنهم من شرح الله صدره، فلان قلبه لقبول دينه، والاهتداء بنور كتابه العظيم، ومنهم من قسا قلبه، واستمر في طغيانه وضلاله (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) . (البقاعي،2020: 412/6؛ ابن عاشور: 1984: 312/23). وجاءت هذه الآية تفريعًا على ما تقدمها من قول الله عزّ وجل: (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ) وما سبقها من وصفهم باستماع القرآن واتباعه في قوله جلّ وعلا: (ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) لتأتي هذه الآية مبينة سبب انقيادهم، وهو أنّ الله عزّ وجل قد امتنّ عليهم بشرح صدورهم للانقياد للدّليل، فكانت قلوبهم ليّنة، فانقادوا للإيمان، واهتدوا للدليل، أمّا من قسا قلبه عن ذكر الله فضلّ سعيه (البقاعي، 2020: 437/6؛ ابن عاشور، 1984: 379/23).

قال الطّاهر بن عاشور: «فإن المؤمن إذا سمع آيات الوعيد والتهديد يخشى ربه، ويتجنب ما حذر منه، فيقشعر جلده، فإذا عقب ذلك بآيات البشارة والوعد استبشر وفرح، وعرض أعماله على تلك الآيات، فرأى نفسه متحلية بالعمل الذي وعد الله عليه بالثواب، فاطمأنت نفسه، وانقلب الوجل والخوف رجاء وترقبًا، فذلك معنى لين القلوب، وإنما يبعث هذا اللين في القلوب ما في القرآن من معاني الرحمة» (ابن عاشور، 1984: 389/23).

رابعًا: الآية (25) من سورة طه: (قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي)

سورة طه مكيّة، وسميت باسم الحرفين المقطعين (طاء، وهاء)، في أوّلها، والسّورة تدور حول دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى إمهال المدعوّين، والحلم عنهم، والتّرفق بهم، وعدم تحميل نفسه مالا تطيق من الجهد والكدّ والشّقاء، ولذا قال الله –عزّ وجل– في أوّلها: (مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ) قال السّعدي: «ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين، وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلًا للسعادة والفلاح والفوز، وسهَّله غاية التسهيل، ويسَّر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاءً للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة» (السعدي، 2000: 501).

ثم إن المولى –عزّ وجل– أراد أن يثبت قلب حبيبه محمد –صلى الله عليه وسلم– بذكر قصة كليمه موسى –عليه السّلام– تثبيتًا للنبي –صلى الله عليه وسلم– ودعوة له للتأسي بكليمه موسى فقال: (وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ؛ ليسرد له قصة موسى وما أصابه من التّكذيب وما عاناه من معاندة قومه، ولكنّه عليه السّلام بقي صامدًا في سبيل أداء رسالته ومواصلة دعوته، داعيًا ربه: (رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي) وفي هذا توجيه ربانيّ لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– بأن تكون هذه دعوته أيضًا.

جاءت هذه الآية في سياق دعاء موسى حين أمره ربه بالذهاب إلى فرعون، ودعوته للإذعان لرب العالمين فقال: (ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ)أي: تجبر وتكبر وجاوز الحدّ حتى ادّعى

الربوبية، فكان أول ما قاله موسى –عليه السّلام– وحكاه عنه ربه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ وشرح الصّدر هنا عام، وليس مقيدًا بمعين كالآيات السّابقة، فقد يكون المراد بـ (شرح الصّدر): أن يتسع لما حمله من الرّسالة وثقل النّبوة؛ ليقدر على القيام بها، والوفاء بما يأمره به ربه، أو يكون المراد: أن يتسع صدره لما يسمع من تكذيب قومه، وطغيان فرعون، وتجاوزه حدوده من التّمرد على ربه، وادعاء ما ليس له من الرّبوبية، وقد حكى الله –عزّ وجل– عن كليمه قريبًا من هذا فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ 12 وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ خاف عليه السّلام من أن يضيق صدره بما يقولون فيعجز عن إيصال رسالته، وهو ما ذكره عن نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– فقال: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾؛ ولذا دعا موسى –عليه السّلام– ربه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ كما امتن على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بشرح صدره فقال :﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ قال أبو منصور الماتريدي: «وقوله –عز وجل–: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ إن موسى سأل ربه أن يشرح له صدره، وذكّر محمد أنه شرح له صدره بقوله: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ ثم جائز أن يكون شرح صدرهم لتسع ما حُمِّل عليهم من ثقل النبوة والرسالة؛ فيتسع صدرهم لذلك، ويقدروا على القيام بذلك والوفاء به، أو أن يكون سأله شرح صدره؛ لما كان الرسل يغضبون لله عند تكذيبهم قومهم حين دعوهم إلى دينه، ويحزنون على ذلك، فيمنعهم غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة، كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ أخبر أنه يخاف عند تكذيب قومه فيضيق صدره ويثقل لسانه؛ فسأله لذلك أن يشرح له صدره، ويطلق له لسانه، ويحتمل ما قاله بعض أهل التأويل: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ أي: لين لي قلبي؛ لأن الرسل قد امتحنوا في حال واحدة بشيئين متضادين: بالغضب لله عند تكذيب قومهم إياهم، والرأفة لهم، والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب، فذلك أمران يتضادان خص الرسل بهما، فجائز أن يكون سأل ربه أن يشرح له صدره؛ ليتسع للأمرين جميعا: الغضب له، والرحمة عليهم» (الماتريدي، 2005: 277/7).

خامسًا: الآية:(1) من سورة الشّرح ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾

سورة الشّرح مكيّة، ومناسبتها امتداد لما قبلها؛ إذ ختم الله – عزّ وجل – سورة الليل بوعده للأتقياء بالنّجاة من النّار في قوله عزّ وجل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ ولما كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو أتقى الأتقياء تكفل ربنا عزّ وجل له في سورة الضّحى بالرّعاية والعناية، وبالإكرام حتى يرضى ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ وختمت السّورة بأمر النّبي – صلى الله عليه وسلّم – بالحديث عمّا أنعم به ربه عليه: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾، جاءت سورة الشّرح بعدها مفصّلة لهذه النّعم مبينة لها، من انشراح الصّدر، ووضع الوزر: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾.

الآية جاءت في سياق النّعم التي امتن بها المولى –عزّ وجل– على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– التي أوّلها شرح الصّدر، وقد تقدم الحديث عن المراد بشرح الصّدر، الذي يظهر أنّه عام في انشراح الصّدر للإيمان والخير والهدى والإسلام.

وبعد هذه الإطلالة على سياقات آيات انشراح الصّدر يمكن للدّارس ملاحظة الآتي:

1–كل آيات انشراح الصّدر وردت في سور مكيّة، وذلك مؤشر واضح على ارتباط انشراح الصّدر بسلامة العقيدة، ونور الإيمان والهدى والقرآن، ولم ينفك هذا الارتباط إلاّ في موطن واحد جاء فيه التّحذير من انشراح الصّدر بالكفر، واعتقاده، وطيب النّفس به، كما أن الآيات وردت في مقام عداوة وترصد للدّين وأهله؛ لذا فإن قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– وقلوب أصحابه –رضوان الله عليهم– في ضيق؛ لما يلاقونه من عداوة وصدّ وتكذيب، على نبل ما دعوا إليه، وحرص من الرّسول –صلى الله عليه وسلم– على أداء الأمانة وتبليغ الرّسالة، وهم في ذلك الحال ما أحوجهم لمن يثبّت قلوبهم، ويربط على أفئدتهم، ويبشرهم بانشراح الصّدر، وانجلاء الظلمة، وبزوغ النّور.

2–يمكننا أن ننظم آيات انشراح الصّدر في ثلاث سياقات هي:

أ- سياق انشراح الصّدر للإسلام، ونور القرآن وهداه، ووردت في هذا السّياق آيتان هما: آية سورة الأنعام، وآية سورة الزّمر.

ب- سياق شرح صدور الأنبياء للخير والحق والهدى، وجاءت في سورتي طه، والشّرح.

ج _ سياق شرح صدر الكافر للكفر واعتقاده وطيب النفس به، وجاءت في آية سورة النّحل.

3–الصّدور والقلوب ملك لله عز وجل، يفعل بها ما يشاء، وفي ثلاث آيات امتنّ الله –عز وجل– على أوليائه بشرح صدورهم للإسلام والحق والنّور والخير، وفي الرّابعة جاءت ضمن دعوة نبي الله موسى أن يشرح الله له صدره، أمّا انشراح الصّدر للكفر فمن فعل العبد نفسه، ومن اتباع شهواته.

4–في ثلاث آيات ورد انشراح الصّدر وقابله ضدّه؛ فمرّة قابله الضيق والحرج، ومرّة قابله قسوة القلب، ومرّة قابل انشراح الصّدر للكفر اطمئنان القلب بالإيمان.

5–الأسلوب الحواري كان عنصرًا بارزًا في الآيات؛ إذ جاء الحوار بأسلوب الاستفهام في سورتي الزّمر والشرح، وجاء

بأسلوب الدّعاء في سورة طه، وجاء بأسلوب الشّرط في سورة الأنعام.

6-في دعاء نبي الله وكليمه موسى -عليه السّلام- جمع مع شرح الصّدر تيسير الأمر، وحلّ عقدة اللّسان.

7-في امتنان الله على صفيه محمد -صلى الله عليه وسلم- بشرح الصّدر قرن معه وضع الوزر، وتيسر الأمر.

ثالثًا: المبحث الثّاني: الأسرار البلاغية في آيات انشراح الصّدر:

1-الآية:(125) من سورة الأنعام: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ)

قال البقاعيّ: «لما تقدم أنّه-تعالى- أعلم بمن طبع على قلبه فلا ينفك عن الضلال، ومن يقبل الهداية في الحال أو المآل، وأن مكر المجرمين إنّما هو بإرادته ونافذ قدرته، علم أنّ الأمر أمره، والقلوب بيده، فتسبب عن ذلك قوله: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُ) (البقاعي،2020: 711/2).

وقال الطّبري: «من أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى يشغله بكفره وصدّه عن سبيله، ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر - عليه حرجًا.... في هذه الآية أبينُ البيان -لمن وُفّق لفهمها- على أن السبب الذي به يُوصل إلى الإيمان والطاعة، غير السبب الذي به يُوصل إلى الكفر والمعصية، وأن كلا السببين من عند الله» (الطبري، 2001: 547/9).

وهذا الأمر (شرح صدر من يرد الله أن يهديه، وجعل صدر من يرد الله أن يضله ضيقًا) عام شامل لكل زمان ومكان، ولكل أنواع الهداية والضلال؛ ولهذا أتى التّعبير القرآني بصيغة الفعل المضارع «يرد»، و«يهديه»، و«يضله»، و«يجعل»، و«يصّعد»؛ للدّلالة على أنّ هذا لفعل مستّمر، فهو ثواب لكل مهتدٍ، وهو عقابٌ لكل مستكبر عن الحق، فالأفعال تتجدد والثّواب والعقاب مستمرٌ، قال الدّسوقي في حاشيته على مختصر المعاني: «والذى تدل عليه الجملة المضارعة الاستمرار مع التجدد» (د ت: 21/1)، كما أن ختام السّورة -أيضًا - يدلّ على هذا المعنى، وأن سنة الله في الخلق دائمة مستمرة، فشرح صدر من يرد الله أن يضله دائم، وتضييق صدر من يريد الله ضلالته دائم ، ولذا ختمت السّورة بالاسم الموصول (الّذين)؛ لإرادة العموم الزّماني والمكاني؛ لأنّه يشمل كل معرض عن الإسلام، وجملة (لا يؤمنون) جملة فعلية منفية فعلها مضارع؛ للدّلالة على أن الرّجس يصيب كل معرض عن الحق والهدى في كل زمان ومكان.

وشرح الصّدر: فتحه وتوسيعه، قال الرّاغب: «شرحت اللحم، وشرحته، ومنه: شرح الصدر، أي: بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه» (الأصفهاني، 1412: 449).

إذن شرح الصّدر مستعار من بسط اللحم، والمراد به: بسط الصدر بالنّور والحق والهدى، فالمعنى: من يرد الله أن يهديه يفتح ويبسط صدره».

«واستعمل الشرح في كلامهم مجازًا في البيان والكشف، واستعمل أيضا مجازًا في انجلاء الأمر، ويقين النفس به، وسكون البال للأمر، بحيث لا يتردد فيه ولا يغتم منه» (ابن عاشور، 1984: 58/8). فاستعير اللفظ (يشرح) استعارة محسوس (بسط اللحم) لمعقول (انبساط الصدر)، ووجه الشّبه معقول، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التّصريحية، والتعبير بالمحسوس عن المعقول أقوى وأبلغ؛ لما فيه من زيادة البيان والتّوضيح.

كما أنّ المولى عزّ وجل جعل «الصّدر» محلًا للانشراح والضيق مع أن محلهما القلب، فهو محل للمعرفة والعلم والمحبة والإنابة، والصّدر طريق للقلب، فحينما انشرح الطّريق سهل الوصول للقلب، وحين ضاق الطّريق امتنع الوصول.

«ونسبة ذلك إلى صدره مجاز عن ذات الشخص، ولذلك قالوا: فلان واسع الصدر: إذا كان الشخص محتملا ما يرد عليه من المشاق والتكاليف» (أبو حيان، 1420: 693/4).

فإذا أراد الله بفضله هداية العبد وسع صدره، وشرحه حتى تدخل الهداية إلى قلبه، فتسكن فيه وتستقر، وإن لم يرد الله هدايته ضيق صدره الذي هو الطّريق إلى قلبه ضيقًا شديدًا يمتنع معه دخول شيء إلى قلبه، فلا يجد الإيمانُ ولا النّورُ منفذًا يدخل معه، فيعدل عنه ويتركه، وهنا يصبح القلب خاويًا من الإيمان والنّور والهدى (ابن قيم الجوزية، د ت 89/3).

والضيّق عكس الاتساع، قال الكسائي: «الضّيق بالتشديد في الأجرام وبالتخفيف في المعاني» (أبو حيان، 1420: 640/4)، كما ذكر أن كلمة (ضيّقًا) أتى بها على هذا الوزن؛ للمبالغة (أبو حيان، 1420).

والفرق بين الحرج والضّيق «أن الحرج ضيق لا منفذ فيه، مأخوذ من الحرجة، وهي: الشّجر الملتف حتى لا يمكن الدخول فيه، ولا الخروج منه»(الجرجاني، 1430: 205/1)، والحرجة هي الشّجرة الملتف بها الأشجار فلا يصل إليها شيء؛ لشّدة التفاف الأشجار بها (الطبري، 2001: 544/1).

قال الجرجاني: «والحرج: الضيق، ولذلك سمي موضع الشجر الملتف حرجًا» (الجرجاني، 1430: 205/1) وقال القرطبيّ: «الحرج: موضع الشجر الملتف، فكأن قلب الكافر لا تصل إليه

الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره» (القرطبي، 1384: 81/7).

وعلى هذا المعنى فالمراد تشبيه صدر الضّال الذي لا ينشرح لقبول النور والإيمان والحق بالحرجة التي لا يصل إليها شيء، ووجه الشّبه: الضّيق والظّلام والمنع في كل منهما، وهو تشبيه بليغ حذفت منه الأداة، والغرض من التّشبيه تقرير حال المشبه، وهو صدر من لم ينشرح صدره للإسلام.

وكثيرًا ما يرتبط هذا التّقسيم للقلوب وأنواعها بأقسام الأرض، وأنواعها –أيضًا– وقد جاء عن النّبي –صلى الله عليه وسلم– فيما رواه أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه– أنّه قال: «إن مثل ما بعثني الله –عز وجل– به من الهدى والعلم كمثل غيثًا أصاب أرضاً؛ فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا، ورعوا، وطائفة أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً ،فذلك مثل من فقه في دين الله –عز وجل– ونفعه الله بما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (البخاري، 1311: 27/1؛ مسلم، 1334: 63/7).

فالناس في قبول الحق والهدى نوعان: نوع كأرض طيبة، تمسك الماء فتنبت خيرًا، ونوع كأرض قاع، لا تمسك الماء، ولا تنبت الكلأ، وهو عائدٌ لأصل خلق الإنسان، قال تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَاب ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَر تَنتَشِرُونَ) فالنّاس خلقوا من تراب، وهم أنواع كأنواعه، وقلوبهم كأنواعه، فمنها اللّينة، ومنها القاسية، ومنها ما تتجاوز في القسوة، قال تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَة وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِل عَمَّا تَعْمَلُونَ،فهذه قلوب كالحجارة، ومنها ماهو أشدّ قسوة ، لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَل لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعا مُّتَصَدِّعا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فالقران لو أنزل على جبل لخشع، ولكن بعض القلوب أشد قسوة من الجبال.

ثم إن هذا الضّيق وذلك الحرج الشّديد الذي يعانيه من ضاق صدره عن ذكر الله من أشدّ أنواع الضيق والحرج، وهذا ما يؤكده ويعضده التّشبيه الذي جاء بعده في وصف شدّة الضيق والحرج (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ) قال أبو عبيد: «ويروى أن أصل هذا من الصعود وهي العقبة المنكرة الصعبة، يقال: وقعوا في صعود منكرة وكؤود مثله، وكذلك هبوط وحدور» (أبو عبيد، 1404: 287/4)، وقال الجرجاني:» (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي) أي: يتعسر عليه الإيمان كما يتعسر عليه الصعود فِي ٱلسَّمَآءِ ، ويحتمل أن قلبه يرتفع إلى السماء عن موضعه من التضايق كقوله: وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ» (الجرجاني، 1429: 723/2)، وهنا تشبيه تمثيليّ؛ إذ شُبهت حال من يرد الله إضلاله، وجعل صدره ضيقًا شديد الضّيق، بحال من يحاول ويجاهد نفْسه وتفَسه صعود السّماء ولا يستطيع ذلك؛ «إذ شبه الله الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة بمن تكلف ما لا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يطاق» (القرطبي، 1384: 82/8)، وهي هيئة معقولة بهيئة متخيلة، ووجه الشّبه منتزع من عدّة وجوه، للدلالة على الإفراط في المبالغة بضيق الصّدر، وهذا معنى دقيق جدا.

والآية مبنية على المقابلة بين فريقين متضادّين متقابلين في الأفعال: (يهديه، يضّله، يشرح، ضيقًا)؛ ولهذا أثر كبير في النّفوس، قال حازم القرطاجني: «فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكًا وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام؛ لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعًا من سنوح ذلك لها في شيء واحد، وكذلك حال القبح، وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشد تحريكًا لها، وكذلك أيضاً مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد، وتخليًا عن الآخر؛ لتبين حاله بالمثول إزاء ضده، فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبًا» (القرطاجني، 1986: 40)، والآية الكريمة عرضت لنا مشهدين متقابلين عرضًا دقيقًا، بَيَّن الحال لكل فريق، والمآل الذي يصير إليه، وهذا العرض لهذه المشاهد أسلوب قرآني عجيب دقيق المسلك، ففي «عرض القرآن الكريم لمشاهد النّعيم والعذاب المتقابلة، مرة يكون مشهد العذاب أطول من مشهد النّعيم، ومرّة يكون مشهد النّعيم أطول، ومرّة يتساوى المشهدان، وعلى الرّغم من كون تلك المشاهد تدور حول العذاب والنّعيم، فإنّها تبدو جديدة في كل عرض؛ لأن ما يعرض من مناظر العذاب والنّعيم يختلف من مشهد لآخر، كما أنّ أساليب العرض تختلف من سورة إلى أخرى.. والاختلاف بين المشهدين المتقابلين طولًا وقصرًا ناشئ عن مراعاة ما يناسب السّورة والسّياق الذي يعرضان فيه» (أبو زيد، 1992: 157).

وهذه الآية والآيات قبلها تؤكد أمر المقابلة القائمة على التّغاير بين المتقابلات بداية من قوله تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيْتا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِج مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)، وقبلها قوله: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ) فالمقابلة بين الضّال والمهتدي، والحيّ والميت، والنّور والظلمات، هي مقابلة بين الإيمان والكفر، لبيان البون الشّاسع بينها.

2–الآية (106) من سورة النّحل:

(مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنُّ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرا فَعَلَيْهِمْ غَضَب مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم. مَن كَفَرَ ، بدل من ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ

ٱللَّهِ في الآية السّابقة و (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ) اعتراض بين البدل والمبدل منه، ومعنى الكلام: إنّما يفتري الكذب من كفر بالله بعد إيمانه، واستثني ممن كفر بعد إيمانه المتلفظ بالكفر مكرهًا، فهو غير داخل تحت الافتراء، ثم قال :(وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَب مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم).

وهنا أداة شرط مَن وفعل الشّرط (كَفَرَ) وجوابه (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم) وقد جاء فعل الشّرط (كفر) بصيغة الماضي، ولكن دخول أداة الشّرط تجعل فعل الشرط الماضي في اللفظ مستقبل الزمن من حيث معناه (الزركشي، 1376)، وليفيد العموم، فيشمل الماضي والمستقبل، فكل من كفر بعد إيمانه في الماضي، وكل من سيكفر بعد إيمانه مستقبلًا فعليهم غضب الله، ولهم عذاب عظيم.

وفي قوله: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ) خص الكفر هنا بالكفر بالله، ولو اكتفى بلفظ الكفر لفهم المقصود حيث لا لبس حينئذ، ولكنّه ذكره هنا للتعظيم، فهو ليس كفرًا بأي أحد، بل كفر بالله الخالق البارئ المنعم المصور؛ ولذا من قام به مستحق لما ذكر بعده من العقاب، (أُكْرِهَ) بني الفعل للمجهول لتأكيد العموم السّابق، فالمقصود أن يكون أكره، وهو المعنى الذي يراد إبرازه، وليس المقام مقام بيان المكره؛ لأن المراد العموم، فيشمل كل من أكره من أي أحد كعدو، أو خوف قتل، أو ذهاب نفس.

(وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْر)، استدراك على ما سبق، فمن طابت نفسه بالكفر هو المقصود بالعذاب، وهنا ملحظ بلاغي دقيق، فعند الحديث عن الإيمان قال: (مُطْمَئِنٌّ) وحين الحديث عن الكفر قال: (شَرَحَ) عبر عن الأولّ بالجملة الإسمية، وعن الثّاني بالفعلية، ذلك أن الاسمية تدل على الثّبوت والدّوام، فهذا القلب دائم الاطمئنان، لا تغيره الظروف والأحوال، فمن وقع الإيمان في قلبه استقر، حتى وإن أكره على الكفر، فهي حالة طارئة؛ لأنّ الإيمان الحقيقي مستقر ثابت في قلبه، أمّا عند الحديث عن الكفر فقد عبر عن حال الكفر بالفعل (شرح)، والجملة الفعلية تفيد التّجدد ولا تفيد الثّبوت والدّوام، فقلب الكافر ليس قلبا منشرحًا، وإنّما انشراحه انشراح مؤقت لعارض شهوة أو هوى نفس، وسرعان ما يذهب، بل الكفر هو ضيق الصّدر حقيقة، ولذا قال عزّ وجل عنه: (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَج)، كما أنّ تقديم نوع الانشراح وهو الجار والمجرور (بِٱلْكُفْرِ) على المفعول به(صَدْرا)، وبيان أن الانشراح بالكفر لا بغيره؛ لإظهار سوء الذّنب وبشاعته، وأنّه انشراح يخالف الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، فالانشراح الحقيقي بالإسلام، وذلك هو الهداية: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ)، أما الانشراح بالكفر فضلال على ضلال، وهو من تزيين سوء العمل الذي قال الله عنه: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ)، وهو من تزيين الشيطان لهم (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)ثم إن تنكير (صَدْرا) بيان لحقارة هذا الصّدر المنشرح للكفر، وأنّه صدر نكرة لا قيمة له، فالصّدر يكتسب قيمته مما يحتوي عليه من النور والهدى والحق.

أما مآلهم فغضب من الله وعذاب عظيم؛ وقد جاءت جملة الغضب اسمية؛ للدّلالة على دوام الغضب، وأنه غضب دائم طويل ثابت لا ينقطع، والأدهى والأمر أنّه غضب ممن غضبه إذا نزل أهلك من حل به، ويبدو أنّ الغضب في الدّنيا، أمّا العَذَابٌ عَظِيم ففي الآخرة، وقد يجتمعان في الدّنيا والآخرة، وقد قدّم الجار والمجرور (لهم)؛ زيادة في تهديدهم ووعيدهم.

3-**الآية (22) من سورة الزمر** (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُور مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْل لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰل مُّبِين).

الآية استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الألباب، وشرح الصدر للإسلام في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ)، فأولو الألباب هم الذين شرح الله صدورهم للإسلام (أبو السعود، د ت).

وقد تكون الآية تفريع على قوله تعالى قبلها: (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَف مِّن فَوْقِهَا غُرَف مَّبْنِيَّة تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ) وما أُلحق به من تمثيل حالهم في الانتفاع بالقرآن، فرّع عليه هذا الاستفهام التقريري (ابن عاشور، 1984).

وهمزة الاستفهام داخلة على محذوف مقدر فسره قوله تعالى: (فَوَيْل لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ)، وتقديره: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، مثل الذي حق عليه كلمة العذاب فهو في ظلمة الكفر، أو تقديره: مثل من قسا قلبه» (ابن الأثير، د ت: 225/2).

وهذا النّوع من حذف الجمل أطنب القدماء في الحديث عنه وعن أنواعه، وقد ذكر ابن الأثير أن حذف الجمل على ثلاثة أضرب، الضّرب الأوّل: حذف السّؤال المقدر «ويسمى الاستئناف، والضّرب الثّاني: الاكتفاء عن السّبب بالمسبب وبالمسبب عن السبب، أمّا الضّرب الثّالث، فهو: الإضمار على شرط التّفسير، وعرّفه بـ «أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره، فيكون الآخر دليلا على الأول» (ابن الأثير، د ت: 225/2)، وذكر من هذا النّوع ما «يأتي على طريق الاستفهام، فتذكر الجملة الأولى دون الثانية، كقوله تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُور مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْل لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰل مُّبِين) تقدير الآية، أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه، ويدل على المحذوف قوله: (فَوَيْل لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ» (ابن الأثير، د ت: 225/2)، أما

(من) فهي اسم موصول، وجاءت صلته الجملة الفعلية (شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ) وقد عرّف المسند إليه بالاسم الموصول؛ قصدًا إلى إحضار المسند إليه بصلته التي هي مراد الكلام ومقصده.

أمّا استعمال الشّرح في شرح الصّدر للإسلام فهي استعارة عن التّوسيع، وقد سبق الحديث عنها، وقد تعددت الاستعارات في الآية،كالاستعارة التّبعية في حرف الجر «على» (عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ)؛ إذ شبه تمسّكه بالهدى والنّور باستعلاء الرّاكب على مركوبه في التّمكن، فاستعير له الحرف الموضوع لمعنى الاستعلاء، وكذلك الاستعارة في كلمتي: «نور» و «القاسية».

4-الآية: (25) من سورة طه: (قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي)

هذه الآية مستهل دعاء نبي الله موسى – عليه السّلام – حين بعثه ربه إلى فرعون وملئه، يدعوهم لتوحيد الله وإفراده بالعبادة، (ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ) وحين علم عليه السّلام عظم الأمانة، وخاف من تكذيب قومه له: (وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (10) قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ (11)قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ (13)

فدعا عليه السّلام دعاءً يعينه على تبليغ رسالة ربه، والقيام بالأعباء التي توكل إليه فقال: (قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي (25)وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي (26) وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي (27) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي (28) وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي (29) هَٰرُونَ أَخِي (30) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (31) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي 32 كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا (33) وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا (34)إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا) لقد خاف عليه السّلام أن يكذبوه؛ فينتج عن هذا الخوف ضيق الصّدر، وعدم نطق اللّسان، فدعا ربه، (قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي) علاجًا لضيق الصّدر، وحل عقدة اللسان (وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي).

لقد استهل عليه السّلام دعاءه بحذف حرف النّداء، وحذف حرف النّداء هنا؛ لشعوره بقرب المنادى، ولما يشعر به من حاجته إلى ملامسة غرضه، حيث ضيق الوقت، والرّغبة في سرعة الامتثال لأمر الله، فلا مجال للتفكير بعد أمر الله –عز وجل– فحين أمر (ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ) ، جاء الجواب مباشرة (رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي) وفي اختيار لفظ (ربّ) ملمح بديع، حيث الخضوع المطلق والانقياد التّام لله عز وجل، وحيث العناية المطلقة، فهو عليه السّلام تحت رعاية ربه ومولاه؛ ليسأله سعة الصّدر، ونور القلب، وتيسير الأمر؛ ليحتمل ما يصيبه في سبيل الدّعوة إلى توحيد مولاه، وقد سبق الحديث عن الاستعارة في (اشرح).

وفي قوله: (اشرح) أمر خرج عن معناه الأصلي إلى معنى الدّعاء، كما أنّ تقديم الجار والمجرور(لي) وتكراره في (ٱشۡرَحۡ لِي) و (وَيَسِّرۡ لِيٓ) «إظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين، وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به» (أبو السعود، د ت: 12/6)، وفي الآيتين إطناب عن طريق الإيضاح بعد الإبهام، غرضه التّعظيم، قال الخطيب القزويني: «فإن قوله: (ٱشۡرَحۡ لِي) يفيد طلب شرح لشيء ما له، وقوله: (صَدۡرِي) يفيد تفسيره وبيانه، وكذلك قوله: (وَيَسِّرۡ لِيٓ) والمقام مقتضٍ التأكيد للإرسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد» (القزويني، د.ت، 3: 197).

5-**الآية:**(1) **من سورة الشّرح** (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ)

«يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – مذكره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضا له بذلك على شكره على ما أنعم عليه؛ ليستوجب بذلك المزيد منه: (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ) يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق (صَدۡرَكَ)؛ فنلين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة» (الطبري، 2001: 439/24).

وفي بداية السّورة «استفهام عن انتفاء الشّرح على وجه التقرير، فأفاد إثبات الشّرح وإيجابه، فكأنّه قيل: قد شرحنا لك صدرك؛ ولذلك عطف عليه (وضعنا) اعتبارًا للمعنى» (الزمخشري، 1427: 770/4)، فالاستفهام التقريريّ غرضه الإثبات والتقوية والتأكيد.

وقد أشرت سابقًا إلى أن شرح الصّدر للنبي –صلى الله عليه وسلم– ليتسع لحمل هموم النّبوة، وأداء الرّسالة وتبليغ الأمانة، وليتسع لتحمل المكاره التي يتعرض لها من كفار قومه وغيرهم، وليصبر على ما يصيب قومه من العذاب لكفرهم وعنادهم، وكذلك يتسع صدره لما أودعه ربه فيه من العلم والحكمة، ويزيل عنه ضيق الجهل والعمى (الزمخشري، 1427: 770/4)، وقد جاء الفعل بنون الجمع الدّالة على التّعظيم، ذلك أن عظمة المنعم تدل على عظمة النّعمة.

وقد جاءت سورة الانشراح بأكملها تثبيتا لقلب النبي –صلى الله عليه وسلم– وبشارة له، وتطييبًا لخاطره.

وفي قوله: (لك) إطناب كما في الآية السابقة، قال الزّمخشري: «فإن قلت: أي فائدة في زيادة (لك)، والمعنى مستقل بدونه؟ قلت: في زيادة (لك) ما في طريقة الإبهام والإيضاح، أنّه قيل: (ألم نشرح لك) ففهم أنّ ثمّ مشروحًا، ثمّ قيل:(صدرك) فأوضح ما علم مبهمًا، وكذلك (لك ذكرك)، و(عنك وزرك)» (1427: 770/4).

والوصل بين جملة (ألم نشرح)، وجملة (ووضعنا) بحرف العطف (الواو) الذي يفيد التشريك في الحكم؛ للدلالة على اشتراكهما في أمر العناية، والتأكيد، والتثبيت، والتقوية. وقد سبق الحديث عن الاستعارة في(نشرح) كما أنّ (ألم نشرح لك صدرك) كناية عن الإنعام. وقد اشتملت السّورة على ما يسمى بالسّجع المرصّع؛ وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها (صدرك، وزرك، ظهرك، ذكرك).

وبعد هذه التّطوافة مع آيات انشراح الصدر، وأسرارها البلاغية، بدا واضحًا أنّ الآيات ركزت على الاستعارة التّصريحية في (يشرح، شرح، اشرح، نشرح)، وهي استعارة دقيقة، شبّه فيها اتّساع الصّدر للإيمان وانبساطه له ببسط اللحم، وقد عبّر فيها بالمحسوس عن المعقول على أبلغ وجه، وأكمل صورة، كما أن الآيات في عمومها تعتمد على المقابلة بين حال انشراح صدور أهل الإيمان، وضيق صدور أهل الكفر والطّغيان، ولذا بدا الانشراح ملازمًا للإيمان، والضّيق ملازمًا للكفر والضّلال، إلاّ ما ورد فيمن شرح صدره للكفر، فقد دلّت الآية على أنّه انشراح مؤقت سرعان ما يزول.

الخاتمة:

الحمد لله على إحسانه، والشّكر له على فضله وامتنانه، وبعد: في ختام هذه الدّراسة التي تناولت التّحليل البلاغيّ لآيات انشراح الصّدر، وتتبع سياقاتها، وبيان أسرارها البلاغية ومحاولة استجلاء ما حوته من لطائف بلاغية دقيقة أورد جملة من نتائج هذه الدّراسة وأجملها في الآتي:

1- كل آيات انشراح الصّدر وردت في سور مكيّة، وذلك مؤشر واضح على ارتباط انشراح الصّدر بالعقيدة السّليمة، ونور الإيمان والهدى والقرآن، وكل ما ابتعد الإنسان عنها ضاق صدره وقسا، وإن بدا له الانشراح إلاّ أنّه انشراح مؤقت سرعان ما يزول.

2- وردت آيات انشراح الصّدر في سياقات ثلاث: سياق انشراح الصّدر للإيمان، وسياق شرح صدور الأنبياء للخير والحق والهدى، وسياق شرح الكافر صدره للكفر.

3- شرح الصّدر للإيمان نعمة الله على المؤمنين، ومنته على عباده الصّالحين، وضيق الصّدر عقوبة الله للضّالين المكذبين.

4- كان الأسلوب الحواري عنصرًا بارزا في الآيات إذ جاء الحوار بأسلوب الاستفهام في سورتي الزّمر والشّرح، والدّعاء في سورة طه، والشّرط في سورة الأنعام.

5- تتكرر الاستعارة التّصريحية في الآيات (يشرح، شرح، اشرح، نشرح)، وهي استعارة دقيقة، شبّه فيها اتّساع الصّدر للإيمان وانبساطه له ببسط اللحم، وقد عبّر فيها بالمحسوس عن المعقول، على أبلغ وجه، وأكمل صورة.

6- الآيات في عمومها تتكئ على المقابلة بين حال انشراح صدور أهل الإيمان، وضيق صدور أهل الكفر والطّغيان، فالانشراح ملازم للإيمان، والضّيق ملازم للكفر والطّغيان.

وفي الختام يوصي الباحث بالمزيد من الدّراسات المعمقة في آيات القرآن الكريم، وبالذات فيما يتعلق بآيات المقابلة بين الأحوال المتقابلة، أو السّور المتقابلة؛ كسورة المؤمنين والكافرين، فهي مجال خصب وثري للدراسة، وأسال الله عزّ وجل أن يشرح صدورنا للحق ويرزقنا اتباعه، إنّه هو ولي ذلك والقادر عليه وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسل

المراجع:

ابن الأثير، ضياء الدين. (د ت). المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر. القاهرة: دار نهضة مصر للطّباعة والنشر والتوزيع.

ابن عاشور، محمد. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدّار التّونسية للنشر.

ابن فارس، أحمد. (1399). معجم مقاييس اللغة. دمشق: دار الفكر.

ابن قيم الجوزية، محمد. (د ت). الضّوء المنير على التّفسير. الرياض: مؤسسة النّور للطباعة.

ابن منظور، محمد. (1414). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو السعود، محمد. (د ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

ابو حيان، محمد. (1420). البحر المحيط في التّفسير. بيروت: دار الفكر.

أبو زيد، أحمد. (1992). التّناسب البياني في القرآن. الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة.

أبو عبيد، القاسم. (1984). غريب الحديث. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

الأزدي، محمد. (1987). جمهرة اللغة. بيروت: دار العلم للملا يين .

الأصفهاني، الراغب. (1412). المفردات في غريب القرآن. دمشق: دار القلم.

الآلوسي، محمود. (1441). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.

البقاعي، إبراهيم. (١٤٠٨). مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السور. الرّيّاض: مكتبة المعارف.

البقاعي، إبراهيم. (2020). نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، عمرو. (1423). البيان والتبيين. بيروت: دار الهلال.

الجرجاني، عبد القاهر. (2008). درج الدرر في تفسير الآي والسّور. عمان: دار الفكر.

حسان، عمر. (2006). اللّغة العربية معناها ومبناها. مصر: عالم الكتب.

الدّاية، فايز. (1996). علم الدّلالة بين النّظرية والتّطبيق: دراسة تأريخية–تأصيلية–نقدية. دمشق: دار الفكر.

الزركشيّ، محمد. (1376). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار إحياء الكتب.

الزّمخشري، محمود. (1427). الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل. بيروت: دار الكتاب العربي.

السّعدي، عبدالرحمن. (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرّسالة.

السلجماسي، القاسم. (د ت). المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. الرباط: مكتبة المعارف.

الطّبري، محمد. (2001). تفسير الطّبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن. الرياض: دار هجر.

العطار، حسن. (د ت). حاشية العطار على شرح جمع الجوامع. البنان: دار الكتب العلمية.

عياد، علية. (1994). معجم المصطلحات اللّغوية والأدبية. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

الفراهيدي، الخليل. (د ت). كتاب العين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

القرشي، إسماعيل. (1419). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب.

القرطاجني، حازم. (د ت). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

القرطبي، محمد. (1964). الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القزويني، محمد. (د ت). الإيضاح في علوم البلاغة. بيروت: دار الجبل.

الماتريدي، محمد. (2005). تأويلات أهل السّنة تفسير الماتريدي. بيروت: دار الكتب العلمية.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون. (1400). المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدّعوة.

النيسابوري، محمود. (1415). إيجاز البيان عن معاني القرآن. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

Arabic references:

Abu Al-Saud, Muhammad. (N.D.). Irshād al-‘aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm. Beirut: Dar Revival of Arab Heritage.

Abu Ubaid, Al-Qasim. (1984). Gharīb al-ḥadīth. Cairo: General Authority for Princely Printing Affairs.

Abu Zaid, Ahmed. (1992). Alttnāsb al-bayānī fī al-Qur’ān. Casablanca: Al-Najah New Press.

Al-Alusi, Mahmoud. (1441 AH). Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm wālssb‘ al-mathānī. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Attar, Hassan. (N.D.). Ḥāshiyat al-‘Aṭṭār ‘alá sharḥ jam‘ al-jawāmi‘. Al-Banan: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Azdi, Muhammad. (1987). Jamharat al-lughah. Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin.

Al-Bikai, Ibrahim. (1408). Maṣā‘id alnnẓr lil-ishrāf ‘alá Maqāṣid al-suwar. Riyadh: Knowledge Library.

Al-Bikai, Ibrahim. (2020). Naẓm alddrr fī tanā-sub al-āyāt wālsswr. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Daya, Fayez. (1996). ‘Ilm alddlālh bayna aln-nẓryh wāltttḥyq : dirāsah t’rykhyt-t’ṣylyt-nqdyh. Damascus: Dar Al-Fikr.

Al-Farahidi, Al-Khalīl. Kitāb al-‘Ayn. Beirut: Al-Hilal House and Library.

Al-Jahiz, Amr. (1423). al-Bayān wa-al-tabyīn. Beirut: Dar Al Hilal.

Al-Zamakhshari, (1427) Mahmoud. Alkshshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ alttnzyl wa-‘uyūn al-aqāwīl fī Wujūh altt’wyl. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Al-Zarkashi, Muhammad. (1376 AH). al-Burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān. Beirut: Dar Revival of Books.

Awat, Ayyad. (1994). Mu‘jam al-muṣṭalaḥāt alllghwyh wa-al-adabīyah. Cairo: Academic Library.

Hassan, Omar. (2006). Alllghh al-‘Arabīyah ma‘nāhā wmbnāhā. Egypt: World of Books.

Ibn al-Atheer, Dia al-Din. (N.D.). al-Mathal alssā’r fī adab al-Kātib wālshshā‘r. Cairo: Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution.

Ibn Ashour, Muhammad. (1984). al-Taḥrīr wa-al-tanwīr. Tunisia: Tunisian Publishing House.

Ibn Faris, Ahmed. (1399). Mu‘jam Maqāyīs allughah. Damascus: Dar Al-Fikr.

Ibn Hayyan, Muhammad. (1420). al-Baḥr al-muḥīṭ fī alttfsyr. Beirut: Dar Al-Fikr.

Ibn Manzur, Muhammad. (1414). Lisān al-‘Arab. Beirut: Dar Sader.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad. (N.D.). Alḍḍw’ al-munīr ‘alá alttfsyr. Riyadh: Al-Noor Printing Establishment.

Mustafa, Ibrahim, et al. (1400). al-Mu‘jam al-Wasīṭ. Cairo: Dar Al-Daawa.

sub al-āyāt wālsswr. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Daya, Fayez. (1996). ‘Ilm alddlālh bayna alnnẓryh wālttṭbyq : dirāsah t’rykhyt-t’ṣylyt-nqdyh. Damascus: Dar Al-Fikr.

Al-Farahidi, Al-Khalīl. Kitāb al-‘Ayn. Beirut: Al-Hilal House and Library.

Al-Jahiz, Amr. (1423). al-Bayān wa-al-tabyīn. Beirut: Dar Al Hilal.

Al-Jurjani, Abdul Qahir. (2008). Daraj al-Durar fī tafsīr al-āy wālsswr. Britain: Wisdom Magazine.

Al-Maturidi, Muhammad. (2005). Ta’wīlāt ahl alssnh tafsīr al-Māturīdī. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Naysaburi, Mahmoud. (1415). Ījāz al-Bayān ‘an ma‘ānī al-Qur’ān. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Qartajani, Hazem. (N.D.). Minhāj al-bulaghā’ wa-sirāj al-Udabā’. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Qazwini, Muhammad. (N.D.). al-Īḍāḥ fī ‘ulūm al-balāghah. Beirut: Dar Al-Jabal.

Al-Qurashi, Ismail. (1419 AH). Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm. Beirut: Dar Al-Kutub.

Al-Qurtubi, Muhammad. (1964). al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān tafsīr al-Qurṭubī. Cairo: Egyptian Book House.

Al-Ragheb Al-Isfahani, Al-Hussein. (1412). al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān. Damascus: Dar Al-Qalam.

Al-Saadi, Abdul Rahman. (2000). Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān. Beirut: Al-Resala Foundation.

Al-Sijilmasi, Al-Qasim. (N.D.). al-Manza‘ al-Badī‘ fī tjnys Asālīb al-Badī‘. Rabat: Knowledge Library.

Al-Tabari, Muhammad. (2001). Tafsīr alṭṭbry Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl Ayy al-Qur’ān. Riyadh: Dar Hajar.

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences
At Hail University

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

Sixth year, Issue 20
Volume 1, December 2023

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658